كلية الاداب / قسم التاريخ

أ.م.د. عماد كريم عباس

الاسبوع الاول

مادة تاريخ أسيا الحديث والمعاصر

م/ جمهوريات أسيا الوسطى الاسلامية

الفصل الرابع

جمهوريات آسيا الوسطى الاسلامية

(كازاخستان، اوزبكستان، قرغيزستان، طاجكستان، تركمانستان)

الموقع الجغرافي

تمتد جمهوريات آسيا الوسطى الاسلامية عبر اقليمي آسيا الوسطى والقوقاز، أي المنطقة الممتدة من الصين شرقا الى بحر قزوين والحدود الارمينية والتركية غربا، ومن الجبال هندوكوش والحدود الايرانية والافغانية جنوبا حتى الحدود الروسية مع كازاخستان شمالا. هذا الموقع جعلها اكثر اقاليم آسيا بعدا عن مؤثرات البحرية والمحيطية، ونموذجاً للجمهوريات (الحبيسة) في الداخل وحتى الانهار والمجاري المائية تنصرف الى الداخل ولا تصب في محيطات او بحار، وبهذا فهي لا تملك أي منافذ بحرية. تميزها سهول من الحشائش ومناطق اكثر جفافاً في الجنوب ونطاق جبلي في الجزء الجنوبي من الاقليم.

تقع ضمن هذة المنطقة التي تبلغ مساحتها خمسة ملايين ونصف المليون كيلو متر مربع. خمس وحدات سياسية تشترك برابطة مشتركة مهمة هي ان جميعها جمهوريات اسلامية كانت ضمن الاتحاد السوفيتي، ومن ثم استقلت عنه تباعا في منتصف عام ١٩٩١ وأواخره وهي جمهوريات كازاخستان، واوزبكستان، وتركمانستان، وطاجكستان، وقرغيزستان، وكانت هذه الجمهوريات تؤلف من خمس عشرة جمهورية اتحادية. وقد شكلت هذه المنطقة اهمية كبرى للاتحاد السوفيتي كونها الحدود الجنوبية له، وغالبا ما كانت تدعى بالبطن الهشة للاتحاد السوفيتي، وكانت تشكل المواجهة المحمية للاتحاد السوفيتي السابق مع امتدادات الاحلاف الغربية في آسيا من جهه، وكذلك مع الصين من جهه اخرى، وبحكم موآزاة الظروف المناخية فيها وتوفر المياه شكلت سلة الخبز للاتحاد السوفيتي، هذا فضلا عن الاحتياطات النفطية والغاز فيها.

التركيب العرقي للسكان

يتنوع سكان الجمهوريات الوسطى الاسلامية قوميا وعرقيا، ليشكل نسيجاً غير متجانس، ويعبر عن هوية شرقية لاقوام منحدرة من اصول وديانات وقوميات متنوعة اطرها التاريخ وقربتها الجغرافية.

يقدر عدد سكان اوزباكستان ١٩,٩٠٦ مليون نسمة، وكازاخستان ١٦,٥٣٨ مليون نسمة، اما طاجكستان فيقدر سكانها ٥,١١٢ مليون نسمة، اما قرغيزستان ٤,٢٩١ مليون نسمة، وتركمانستان ٣,٥٣٤ مليون نسمة، ويشكل الروس نسبة عالية من هذه المجموعات اي حوالي ١٢ مليون نسمة، اما الباقي فيتوزعون قوميا بين الاوزبك الذين يقدر عددهم ١٢,٥ مليون نسمة، والكازاخ (القرغيز) ٦,٦ مليون والتتار ٦,٣ مليون نسمة، والاذربين ٥,٥ مليون، والطاجيك ٢,٩ مليون، اما عرقيا فتتوزع هذة الشعوب بين الاتراك والايرانيين والقوقازيين والايبريين. وقليلا من الروس والصينيين والمغول والعرب.

وتتمتع هذه المنطقة بخصوصية مشتركة هي ان معظم سكانها مسلمون لهم تراثهم الديني والقومي المشترك، هناك ديانات اخرى كالمسيحية واليهودية تعتنقها الاقليات الموجودة، هذا مما جعل التوزيع القومي والعرقي لسكان الجمهوريات متداخلاً ويشكل نسيجا غير متجانس.

نبذة تاريخية

تعد منطقة آسيا الوسطى والقوقاز من أوائل المراكز الحضارية العالمية، اذ كانت كل من آسيا الوسطى واذرباغان (الاسم القديم لاذربيجان) من أهم المراكز التجارية العالمية لوقوعها على طريق تجارة الحرير بين الصين وبلاد فارس والفراء من مناطق الصيد في سيبيريا الشمالية الى الهند وبلاد فارس والعراق، وبعد ان تم فتح بلاد فارس على يد العرب المسلمين في القرن السابع الميلادي تمكنوا فيما بعد من الانطلاق من خراسان التي أصبحت أهم الثغور الاسلامية في الشرق لفتح بلاد ماوراء النهر (تركستان) بقيادة القائد العربي قتيبة بن مسلم الباهلي عام ٩٤ للهجرة ٧٤١ ميلادي، وبعد خمسين عاما من المناوشات بين

الجيش العربي الاسلامي والخانات التركية في بلاد ماوراء النهر. استقرت السيطرة العربية الاسلامية على بلاد تركستان الشرقية عام ٧٥١م على يد القائد العباسي زياد بن صالح، وما لبث الخلفاء العباسيون وحكام الأطراف من موالديهم ان اتخذوا من أبناء تركستان عمالاً لهم، ولكن هذه السيطرة لم تدم، اذ أدى اتساع رقعة الدول العربية الاسلامية الى قيام دويلات وسلطنات في مشرق الدولة الاسلامية ومغربها، نشأت الدولة الطاهرية في المشرق، وكانت لها سيطرة تامة على آسيا الوسطى وفارس واذربيجان، ثم نشأت بعدها الدولة السامانية التي اتخذت من بخارى مقرا لها، وتمكن السامانيون من بناء دولة تتمتع بالرفاهية الاقتصادية والرقي الثقافي والعلمي والحضاري، فضلا عن القوة العسكرية التي مكنتهم من المحافظة على حدود الدولة الاسلامية في الشرق والعمل على فتح المناطق التي كانت تحت سيطرة الخانات الوثنيين في تركستان الشرقية.

تعرض الوجود العربي في بلاد ما وراء النهر الى اعتداءات قبائل المغول الرحل، التي تمكنت من السيطرة على بلاد ما وراء النهر واذربيجان، وهي في طريقها لإسقاط دولة الخلافة العربية الاسلامية في بغداد عام (١٢٠٠-١٢٥٨م)، الا ان اعتناق هذة القبائل الاسلام أدى الى تحول اجتماعي وثقافي في تاريخ المنطقة، وكان مقدمة لاندماج القبائل المغولية في المجتمع الاسلامي، واصبحت الامبراطورية المغولية امبراطورية اسلامية مقرها في بلاد ما وراء النهر حكمت اجزاء من الهند وشمالي بحر قزوين وبلاد فارس والعراق وبلاد الشام، الان هذه الامبراطورية تعرضت للانهيار، فأصبحت الخريطة السياسية تضم كلا من العثمانيين في الاناضول والمشرق العربي، والصفويين في بلاد فارس واذربيجان، والخانات الاوزبكية في آسيا الوسطى، وبلاد الكازاخ التي حكمتها الامارات الاربع وهي اقرب الى التشكيلات القبلية منها الى التكوين السياسي.

تأثرت الكيانات القبلية في منطقة أواسط آسيا بالصراع العثماني، لاسيما ان الخانات الاوزبك كانوا يستنجدون بالسلطان العثماني وحصلوا على مساعدات عسكرية منه، الأمر الذي شجع الاوزبك على مهاجمة المقاطعات الشرقية لبلاد

فارس واحتلال خراسان، مستغلين حالة الضعف التي دبت في اوصال الدولة الصفوية بعد حروبها مع العثمانيين، الا أن الصفويين دخلوا معركة حاسمة مع الاوزبك في الشرق وأوقعوا بهم هزيمة كبيرة اضطرتهم الى الانسحاب من خراسان وقتل امير الاوزبك (شيباني خان محمد) وأرسل رأسه الى السلطان العثماني با يزيد الثاني (١٤٨١-١٥١٢م) مما أشعره بقلق جدي ازاء تنامي قوة اسماعيل الصفوي (١٥٠١-١٥٢٤م)، فاجبر في عهد سليم الاول بن بايزيد الثاني (١٥١٢-١٥٢٠م) على الاكتفاء داخل حدود بلاد فارس والتنازل عن اذربيجان وكرجستان ولورستان، الا ان حروب العثمانيين المستمرة في البلقان وشرق اوربا وتنامي قوة الروس ومحاولات القياصرة المستمرة للوصول الى المياه الدافئة، ادى الى نشوء صراع عثماني - روسي أسفر عن سقوط استرخان وشمال بحر قزوين بيد الروس عام ١٥٥٦م، ومن ثم مكن الصفويين من اجبار الاوزبك على الاعتراف بنهر جيحون حدا طبيعيا بين الامارات الاوزبكية وبلاد فارس.

أهم هذه الخانات هي

خانة خيوة: تقع عند المجرى الأسفل لنهر جيحون وتتمتع بمركز تجاري في وسط آسيا، وقد نجح الشاه اسماعيل الصفوي من ضمها الى بلاد فارس عام ١٥١٠م، وخلال القرن السادس عشر نجحت بخارى في السيطرة عليها مرتين، الاولى عام ١٥٣٨م والثانية عام ١٥٩٣م، وفي القرن السابع عشر استعادت خيوة مكانتها وقوتها في المنطقة، ودخلت في تحالف مع القبائل التركمانية ضد قبائل قرغيز، وفي القرن السادس عشر سادت خيوة حالة من عدم الاستقرار السياسي فانتشرت الفوضى في جميع أجزائها وتفرقت قوتها العسكرية، الأمر الذي سهل مهمة نادر شاه في السيطرة عليها عام ١٧٤٠م، وبعد وفاة نادر شاه تفككت امبراطوريته، واستعادت خيوة استقلالها، ومع ذلك لم تنعم بالهدوء والاستقرار، فقد تعرضت لغارات عنيفة من التركمان، ولاسيما عشائر الياموت

حتى أشرفت على الدمار عام ١٧٧٠، ونجح احد أمراء خيوه ويدعى محمد أمين من تخليص خيوة من التركمان، وأعاد لها سابق ازدهارها.

ودخلت في بداية القرن التاسع عشر في حرب مع بخارى وبذل خان خيوة "محمدرحيم" (١٨٠٦-١٨٢٥م) جهودا في الدفاع عن امارته، وبعد ان وطد الأمن والاستقرار فيها قام بعمليات مد خلالها نفوذه باتجاه ارال وسيطر على مدينة مرو، وبلغت خيوة اقصى اتساع لها في عهد "عهد الله قلي" (١٨٢٥-١٨٤٢م)، وبعد وفاته اشتعلت الحرب من جديد بين بخارى والتركمان، وظلت خيوه في حالة عدم استقرار الى ان وقع الغزو الروسي لها سنة ١٨٧٣.

بخارى: وهي الخانة الاوزبيكية الثانية، وكانت تتمتع بمكانة تجارية وعلمية منذ الفتح الاسلامي لها، وفي القرن الخامس عشر أصبحت تحت سيطرة الاوزبك وتمكن الامير عبد العزيز (١٦٤٥-١٧٨٠م) من التخلص من السيطرة الاوزبكية في سمرقند وكون أمارة مستقلة لنفسه، ولكن الأمراء من بعده عجزوا عن الاحتفاظ بوحدة الامارة فوقعت تحت نفوذ نادر شاه، ولم تستعد بخارى استقلالها الا بعد وفاته. استطاع محمد رحيم (١٧٥٦-١٧٥٩م) من تأسيس دعائم أسرة بني مغيث في بخارى، وأخذت بخارى في القرن التاسع عشر تسترد مكانتها في ميدان العلوم الاسلامية، ولاسيما في عهد الامير مراد وخليفته حيدر (١٨٠٠-١٩٢٦م)، وقد تمكن نصر الله خان (١٨٢٧-١٨٦٠م) من توطيد دعائم اسرته في مواجهة منافسة من أشراف الاوزبك، ونجح في السيطرة على امارة خوقند ١٨٤٢، ولكنه لم يستطع الاحتفاظ بفتوحاته، وفي عهد خليفته مظفر الدين خان (١٨٦٠-١٨٨٥م)، تجدد النزاع مع خوقند.

خوقند:- الامارة الاوزبكية الثالثة،وقت تتابعت خيوة وبخارى في السيطرة عليها، ولم تتمتع بحريتها الا في ازمات قليلة، وقد اشتدت المنافسة بينها وبين بخارى في المدة الواقعة ما بين (١٨٥٨-١٨٦٦م).

موقف روسيا من الخانات الاوزبكية

كانت هناك علاقات تجارية بين روسيا والخانات الاسلامية الثلاث، كانت تراقب الاحداث ولم تكن تستطيع منافسة قبائل القرغيز والقوزاق، ولكن في القرن الثامن عشر، وبعد ان استطاع بطرس الأكبر (١٦٨٢-١٧٢٥م) من تنمية الملاحة الداخلية عن طريق بناء السفن البحرية التي أخذت تجوب البحيرات الداخلية وشق طريقه الى البحر الابيض شمال روسيا ونهر الدون وبحر البلطيق ثم البحر الاسود وبحر قزوين، وكان يتطلع الى التوسع في الشرق نحو الهند، وكان يرى ان الطريق اليها يكون عن طريق السيطرة على خيوه واعتبرها مفتاح اقطار وسط آسيا المؤدي الى افغانستان ثم الهند، فأرسل بعثة استكشافية الى أواسط آسيا برئاسة الامير جاجارين، الذي بدوره ارسل تقريراً الى القيصر الروسي، أكد فيه وجود كميات كبيرة من الذهب في برقند شرق بخارى، الامر الذي حفز الامير بطرس الاكبر بالزحف نحو اواسط آسيا، مستغلا الصراعات القبلية الموجودة في المنطقة بين امراء الخانات، فارسل قوة كبيرة لخيوه عام ١٧١٧م استجابة لطلب حاكمها نيازخان الذي كان متورطا في حروب قبلية، وأعطى تعليماته الى قائد الحملة بالعمل على اقناع خيوه على ابقاء بعض الكتائب الروسية كحرس شخصي لها، هادفا من وراء ذلك ايجاد موطئ قدم له فيها وجعل حكام الامارتين يعتمدون اعتمادا شخصيا عليها، الا ان هدفه لم ينجح لان اهالي خيوه رفضوا الوجود الروسي وقتل قائد القوة الروسية، فاكتفى القيصر بوجود مندوب عنه في خيوة، الذي ظل بها حتى عام ١٧٢٥م.

بعد وفاة بطرس الاكبر تركزت الخطط التوسعية الروسية في منطقة السهوب التي كان يسكنها القوزاق، فتميز حكم الامبراطورة (١٧٣٠-١٧٤٠) بخضوع القرغيز لروسيا، وكونت روسيا لها أسطولا صغيرا في بحر ارال، وبدأت بإرسال القوافل الى طشقند وبخارى. وكررت روسيا محاولاتها عن طريق إرسال قوافل مسلحة للسيطرة على بخارى الا انها فشلت في ذلك، الى ان استطاع احد الاجانب الذين يعملون في خدمة روسيا وهو نجرى (Negri) من

الوصول الى بخارى وكتب للحكومة الروسية عن أهمية خيوه الستراتيجية كونها مفتاح ثروات آسيا، مما دفع الروس الى تقوية علاقاتها مع خيوه عام (١٨٢٤-١٨٢٩)، الا انها فشلت في ذلك بسبب مخاوفها من عاقبة علاقتها مع روسيا حتى لو كانت تلك العلاقة تجارية بحته. وظلت خيوه مطمعاً لروسيا حتى تمت السيطرة عليها عام ١٨٧٣.

دوافع الغزو الروسي لاواسط آسيا

هناك عوامل عدة دفعت الروس للتوسع في اواسط آسيا ياتي في مقدمتها العامل السياسي، اذ اعتبرت هذه المنطقة هي المتنفس الوحيد السياسي والعسكري للتوسع الروسي، كانت الدول الأوربية تقف بالمرصاد امام محاولات الروس للتوسع في القارة الاوربية او على حساب الدولة العثمانية، بل ان بعض الدول الاوربية كانت تشجع روسيا على السير قدما في سياستها التوسعية مسوغة ذلك على انه عمل أنساني لنشر الحضارة والتقدم وسط جماعات بربرية.ومن ناحية اخرى، كانت القلاع الروسية المتناثرة في سيبيريا واورنبرج وبحر قزوين مساحات كبيرة من الاراضي الاسلامية تحول دون اتصال تلك القواعد بعضها ببعض او بمعنى اخر ان تعوق وحدة الاراضي الروسية، ومن جانب اخر ستوفر لروسيا نفقات عسكرية كبيرة .

اما العامل الثاني المهم هو العامل الاقتصادي، فحاجتها للمواد الاولية والأسواق لتصريف منتجاتها الصناعية، دفعها للتوسع في تلك المنطقة. كان القطن اهم السلع التي تحصل عليها روسيا من هذه المنطقة، بالمقابل تطورت صناعة النسيج الروسية منذ عام ١٨٥٠ حتى بدأت تقلل من استيراد المنسوجات واقتصر استيرادها على الامارات الاسلامية، وكانت الاسواق الاسلامية في وسط آسيا تشكل اهمية كبيرة للروس لتصريف منتجاتهم، وكانت المنسوجات القطنية تشكل نسبة (٩٥) بالمئة من حجم التجارة الروسي في وسط آسيا. هذا فضلا عن عوامل داخلية في الامارات الاسلامية ساعدت على التوسع الروسي فيها ومنها التفكك الداخلي اذ ان النظام القبلي هو السائد في كل من خوقند وبخارى وخيوه

ومرو، وكان منصب الخان او الأمير هدفا لكل قبيلة او عشيرة تشعر بقوتها للقيام بمغامرة لدفع احد زعمائها اليها، وحينما تنجح العشيرة في مغامرتها تلك، فان الصراع حول منصب الخان ينشب بين افردها او بين أفراد أسرة الامير نفسه، وهذا الوضع أدى الى تفتت البناء الاجتماعي والسياسي للامارات. وقد استغلت روسيا هذا التفكك وأخذت تدعم العناصر المتمردة، الأمر الذي أدى الى تصدع الجبهة الداخلية في أمارتي خوقند وبخارى. وكانت هذه الامارات من الضعف بحيث انها لم تتخذ اجرآت فعالة على مستوى جميع الامارات، وتقوقعت كل امارة داخل حدودها تنتظر الغزو الروسي، ونجحت روسيا في إثارة العداوة بين الامارات، ومن ثم دفعتها الى معارك جانبية فيما بينهم لاستنزاف طاقاتهم البشرية والاقتصادية لتحقيق سياستها التوسعية.

السيطرة الروسية على أواسط آسيا

اعتمدت القوات الروسية في السيطرة على الامارات الاسلامية أسلوب الحصار والخندقة، وكانت اسلحتها اكثر تطوراً من اسلحة القوات الاسلامية في حين اعتمدت القوات الاسلامية في معاركها مع الروس على اسلوب الكر والفر، على الرغم من ذلك لم يكن الطريق سهلا امام القوات الروسية، فقد احرجت قوات خوقند الجيش الروسي في مدينة طشقند، ولم تنجح روسيا في بسط سيطرتها على خوقند، الا بعد ان قطعت مياه نهر شيرشيك (الذي يعتبر المصدر الرئيسي لامداد خوقند بالمياه) واستطاعت في النهاية ان تستولي على خوقند في ٢٨ ايار ١٨٦٥، وكذلك تصدت قوات بخارى للقوات الروسية في جيزاك، مما اضطر القوات العسكرية في تركستان الى طلب الهدنة مع بخارى، وحينما تجددت الاشتباكات بين الطرفين نجح البخاريون في محاصرة القوات الروسية الموجودة في سمرقند، وفتحوا على الروس عدة جبهات، الأمر الذي دفعهم الى بعثرة قواتهم، ولم يستطع الروس القضاء على قوة بخارى، الا بعد استمالة الحاكم العام لتركستان الجنرال كوفمان (Kufman) لاحد القادة البخاريين، وبذلك نجح في تصديع الجبهة البخارية، ولم يجد امير بخارى مظفر الدين خان غير